مَتْنُ جَوْهرة التَّوحيد

الحَمْدُ للهِ عَلى صِلاتِهِ ثُمَّ سَلامُ اللهِ مَعْ صَلاتِهِ
عَلَى نَبيٍّ جَاءَ بِالتَوْحِيدِ وَقَدْ خَلا الدينُ عَنِ التَوْحِيدِ
فَأَرْشَدَ الخَلْقَ لِدِيْنِ الحقِّ بِسَيْفِهِ وَهَدْيِهِ لِلحَقِّ
مُحمدُ العاقِبْ لرُسْلِ رَبِّهِ وآلِهِ وصَحْبِهِ وحِزْبِهِ
وبعدُ فالعلمُ بأصلِ الدينِ مُحَتَّمٌ يحتاجُ للتَّبيينِ
لكِنْ مِنَ التَّطْويلِ كَلَّتِ الهِمَمْ فَصَارَ فِيْهِ الاختِصَارُ مُلْتَزَمْ
وَهذِهِ أُرْجُوزَةٌ لَقَّبْتُها جَوْهَرَةَ التَّوْحِيْدِ قَدْ هذَّبتُها
واللهَ أرْجُو في القَبُولِ نَافِعا بِهَا مُرِيْداً في الثَّوَابِ طَامِعَا
فَكُلُّ مَنْ كُلِّفَ شَرْعاً وَجَبَا عَلَيْه أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجبَا
للهِ والجائِزَ والمُمتنِعَا ومِثْلَ ذا لِرُسْلِهِ فاستمِعا
إذْ كُلُّ مَنْ قَلَّدَ في التَّوحِيْدِ إيمَانُهُ لمْ يَخْلُ مِنْ تَرْدِيدِ
فَفِيْهِ بَعْضُ القَوْمِ يَحْكِي الخُلْفَا وبَعْضُهُمْ حَقَّق فِيْهِ الكَشْفَا
فَقَالَ إنْ يَجْزِمْ بقَوْلِ الغَيرِ كَفَى وَإلاَّ لَمْ يَزلْ في الضَّيْرِ
واجْزِمْ بأَنَّ أولاً مِمَّا يَجِب مَعْرِفَةٌ وفيْهِ خُلْفٌ مُنْتَصِبْ
فانْظُرْ إلى نَفْسِكَ ثُمَّ انْتَقِلِ لِلعَالَمِ العُلْوِيِّ ثُمَّ السُّفْلي
تَجِدْ بِهِ صُنْعَاً بدِيْعَ الحِكَمِ لَكِنْ بهِ قَامَ دَلِيْلُ العَدَمِ

وكُلُّ ما جَازَ عَلَيْهِ العَدَمُ ... عَلَيهِ قَطْعَاً يَسْتَحِيْلُ القِدَمُ
وفُسِّرَ الإيمانُ بالتصدِّيقِ ... والنُّطقُ فيهِ الخُلْفُ بالتَّحْقيقِ
فَقِيلَ شَرْطٌ كالعَمَلْ وقيل بلْ ... شَطْرٌ والإسلامَ أَشْرَحَنَّ بالعَمَلْ
مِثَالُ هذا الحَجُّ والصَّلاةُ ... كذا الصيامُ فادْرِ والزَّكَاةُ
وَرُجِّحَتْ زِيَادةُ الإيمانِ ... بما تَزِيدُ طاعةُ الإنسانِ
ونَقْصُهُ بنقصِها وَقِيلَ لا ... وَقِيلَ لا خُلْفَ كَذَا قَدْ نُقِلا
فواجِبٌ لهُ الوجودُ والقِدَمْ ... كَذَا بَقاءٌ لا يُشَابُ بالعَدَمْ
وأنهُ لِمَا يَنالُ العَدَمُ ... مخالفٌ بُرهانُ هَذا القِدَمُ
قِيامُهُ بالنَّفْسِ وَحْدَانِيَّهْ ... مُنزَّهاً أَوصَافُهُ سَنِيَّهْ
عَنْ ضِدٍّ أَو شَبَهٍ شَرِيْكٍ مُطْلَقَا ... وَوَالِدٍ كَذَا الوَلَدْ والأَصْدِقَا
وَقُدْرَةٌ إرادَةٌ وَغَايَرَتْ ... أَمْرَاً وَعِلْمَاً والرِّضَا كما ثَبَتْ
وَعِلْمُهُ ولا يُقالُ مُكْتَسَبْ ... فاتْبَعْ سَبِيلَ الحَقِّ واطْرَحِ الرِّيَبْ
حياتُهُ كَذا الْكلامُ السَّمْعُ ... ثمَّ البَصَرْ بِذي أَتانا السَّمْعُ
فَهلْ له إدراكٌ أوْ لا خُلْفُ ... وعندَ قومٍ صَحَّ فيه الوَقْفُ
حَيٌّ عَلِيمٌ قادرٌ مُريدُ ... سَمِعٌ بَصِيرٌ ما يَشَا يُرِيدُ
مُتَكَلِّمٌ ثُمَّ صِفَاتُ الذَّاتِ ... لَيْسَتْ بغَيْرٍ أو بِعَيْنِ الذَّاتِ
فقدرةٌ بِمُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ ... بِلا تَنَاهِي ما بِهِ تعلَّقَتْ

وَوَحْدَةً أَوْجِبْ لَهَا وَمِثْلُ ذي   إِرادَةٌ والعِلْمُ لكِنْ عَمَّ ذِيْ

وعَمَّ أَيْضَاً واجِبَاً والمُمْتَنِعْ   ومِثْلُ ذَا كلامُهُ فَلْنَتَّبِعْ

وَكُلُّ مَوْجُودٍ أَنِطْ للسَّمْعِ بِهْ   كَذَا البَصَرْ إِدْرَاكُهُ إِنْ قيلَ بِهْ

وَغَيْرُ عِلْمٍ هذِهِ كَمَا ثَبَتْ   ثُمَّ الحياةُ ما بِشَيْ تَعَلَّقَتْ

وَعِنْدَنَا أَسْمَاؤُهُ العَظِيْمَهْ   كَذَا صِفَاتُ ذاتِهِ قَدِيْمَهْ

واخْتِيرَ أَنَّ اسْمَاهُ تَوْقِيفيَّهْ   كذَا الصِّفَاتُ فاحْفَظِ السَّمْعِيَّهْ

وكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيها   أَوِّلْهُ أَو فَوِّضْ، ورُمْ تَنْزِيها

وَنَزِّهِ القُرْآنَ أَيْ كَلامَهْ   عَنِ الحُدُوْثِ واحْذَرِ انتِقامَهْ

فَكُلُّ نَصٍّ لِلحُدُوثِ دَلاَّ   احْمِلْ عَلَى اللَّفْظِ الَّذي قَدْ دَلاَّ

وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ ذِي الصِّفَاتِ   في حَقِّهِ كالكَوْنِ في الجِهَاتِ

وَجَائِزٌ في حَقِّهِ مَا أَمْكَنَا   إيجاداً اعْدَاماً كَرَزْقِهِ الغِنَى

فَخَالِقٌ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلْ   مُوَفِّقٌ لِمَنْ أَرَادَ أنْ يَصِلْ

وَخَاذِلٌ لِمَنْ أرادَ بُعْدَهُ   وَمُنْجِزٌ لِمَنْ أَرَادَ وَعْدَهُ

فَوْزُ السَّعِيْدِ عِنْدَهُ في الأَزَلِ   كَذا الشَّقِيُّ ثُمَّ لَمْ يَنتَقِلِ

وَعِنْدَنَا لِلعَبْدِ كَسْبٌ كُلِّفَا   بِهِ وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ مُؤَثِّراً فَلْتَعْرِفا

فَلَيْسَ مَجْبُوراً ولا اخْتِيَارا   وَلَيْسَ كُلاًّ يَفْعَلُ اخْتِيَارَا

فَإِنْ يُثِبْنَا فَبِمَحْضِ الفَضْلِ   وإِنْ يُعَذِّبْ فَبِمَحْضِ العَدْلِ

وَقولُهُمْ إنَّ الصَّلاحَ واجِبُ عليه زُورٌ مَا عَلَيْهِ واجِبُ
أَلَمْ يَرَوْا إيلامَهُ الأطْفَالا وَشِبْهَهَا فَحَاذِرِ المُحَالا
وجَائِزٌ عَليْه خَلْقُ الشَّرِّ والخَيْرِ كالإسْلامِ وجَهْلِ الكُفْرِ
وَوَاجِبٌ إيمانُنَا بالقَدَرِ وَبالقَضَا كَمَا أَتَى في الخَبَرِ
وَمِنْهُ أنْ يُنْظَرَ بالأبْصَارِ لكِنْ بِلاَ كَيْفٍ ولا انْحِصَارِ
لِلمؤْمِنينَ إذْ بِجائِزٍ عُلِّقَتْ هَذَا ولِلمُخْتَارِ دُنْيَا ثَبَتَتْ
وَمِنْهُ إرْسَالُ جَمِيْعِ الرُّسْلِ فَلاَ وُجُوبَ بَلْ بِمَحْضِ الفَضْلِ
لَكِنْ بِذَا إيْمَانُنَا قَدْ وَجَبَا فَدَعْ هَوَى قَوْمٍ بِهِمْ قدْ لَعِبَا
وَوَاجِبٌ في حَقِّهِمْ الامَانَهْ وَصِدْقُهُمْ وَضِفْ لَهُ الفَطَانَهْ
وَمِثْلَ ذا تَبْلِيغُهُم لِمَا أَتَوا وَيَسْتَحِيْلُ ضِدُّها كَما رَوَوْا
وَجَائِزٌ في حَقِّهِمْ كَالأَكْلِ وكَالجِمَاعِ لِلنِّسَا في الحِلِّ
وجَامِعٌ مَعْنَى الَّذِي تَقَرَّرَا شَهَادَتَا الإسْلامِ فاطْرَحِ المِرَا
وَلَمْ تكُنْ نُبُوَّةٌ مُكْتَسَبَهْ وَلَوْ رَقَي في الخَيْرِ أَعْلَى عقَبَهْ
بَلْ ذَاكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيْهِ لِمَنْ يَشَاءُ جَلَّ اللهُ وَاهِبُ المِنَنْ
وَأَفْضَلُ الخَلْقِ عَلَى الإطْلاقِ نَبِيُّنَا فَمِلْ عَنِ الشِّقَاقِ
والأَنِبيَا يَلُوْنَهُ في الفَضْلِ وَبَعْدَهُمْ مَلائِكَهْ ذِي الفَضْلِ
هذا وَقَوْم فَصَّلُوا إذ فَضَّلُوا وَبَعْضُ كُلٍّ بَعْضَهُ قَدْ يَفْضُلُ

بالمُعْجِـزَاتِ أُيِّـدُوا تكَـرُّمَـا وَعِصْمَــةَ البَـارِي لـكُلٍّ حَتِّـما

وخُصَّ خَـيْرُ الخَلْقِ أَنْ قَدْ تَـمَّـمَا بِـهِ الجَـمِـيـعَ رَبُّـنَـا وعَـمَّـما

بِعْثَتُــهُ فَشَــرْعُـهُ لا يُنْسَــخُ بِـغَـيْرِهِ حَتَّى الـزَّمَـانُ يُنْسَخُ

وَنَسْـخُهُ لِـشَرْعِ غَـيْرِهِ وَقَـعْ حَتْـماً أَذَلَّ اللهُ مَـنْ لَـهُ مَـنَـعْ

ونَسْـخُ بَعْـضِ شَرْعِـهِ بالبَعْضِ أَجِـزْ وَمَـا في ذَا لَـهُ مِـنْ غَـضِّ

ومُـعْـجِـزاتُـهُ كَـثِـيرَةٌ غُـرَرْ منهـا كَلامُ اللهِ مُعْجِـزُ البَـشَرْ

واجْـزِمْ بِمِعْرَاجِ النَّبِي كما رَوَوا وبرِّئَــنْ لِعـائِشَـهْ مِمَّــا رَمَــوا

وصَحْبُهُ خَـيْرُ القُرُونِ فَاسْـتَمِعْ فَـتَـابِـعِـيْ فَـتَـابِـعٌ لِمَـنْ تَبِعْ

وَخَـيْرُهُـمْ مَـنْ وُلِّيَ الخِلافَهْ وأَمْرُهُـمْ في الفَضْـلِ كالخِلافَـهْ

يَلِيْهِمُ قَــوْمٌ كِــرامٌ بَــرَرَهْ عِـدَّتُهُـمْ سِـتٌّ تَمَـامُ العَشَرَهْ

فأَهْـلُ بَـدْرٍ العظيـمِ الشَّأْنِ فأهـلُ أُحْـدٍ فبَيْعَـةِ الرِّضْـوانِ

والسَّـابقونَ فَضْلُهُـمْ نَصّاً عُرِفْ هـذا وفي تَعْيينِهِـمْ قَـدِ اختُلِـفْ

وَأَوَّلِ التَّـشَـاجُـرَ الــذي وَرَدْ إنْ خُضْتَ فيه واجْتَنِبْ داءَ الحَسَدْ

ومَــالِــكٌ وسَــائِـرُ الأَئِـمَّــهْ كـذا أبـو القاسِـمْ هُـدَاةُ الأُمَّـهْ

فَوَاجِـبٌ تَقْلِيـدُ حَـبْرٍ مِنهُـمُ كَـذَا حَكَـى القَـوْمُ بِلَفْـظٍ يُفْهَـمُ

وَأَثْبِـتَـنْ لِلأَوْلِـيَـا الكَـرَامَــهْ وَمَـنْ نَفَـاهـا فَانْـبِـذَنْ كلامَــهْ

وَعِـنْـدَنـا أَنَّ الـدُّعَــاءَ يَنْفَـعُ كـما مِـنَ القُـرْآنِ وَعْـداً يُسْـمَـعُ

بِكُــلِّ عَبْــدٍ حَافِظُــونَ وُكِّلُــوا وكاتِبـونَ خِـيْرَةٌ لَـنْ يُهْمِلـوا
مِـنْ أَمْـرِهِ شَـيْئاً فَعَلْ ولـو ذَهِلْ حتَّى الأنِـينَ في المَرْض كـما نُقِلْ
فَحَاسِـبِ النَّفْسَ وقَلِّـلْ الامَلا فَـرُبَّ مَـنْ جَـدَّ لأمْـرٍ وَصَلا
وَوَاجِـــبٌ إيمانُـنَـا بـالموتِ ويَقْبِـضُ الـرُّوْحَ رَسُـولُ المَوْتِ
وَمَيِّــتٌ بِعُمْـرِهِ مَـنْ يُقْتَـلُ وَغَيْــرُ هــذا بَاطِـلٌ لا يُقْبَـلُ
وَفِي فنَا النَّفْسِ لَدَى النَّفْخِ اخْتُلِفْ واسْتَظْهَرَ السُّبكي بَقَاهَا اللَّذْ عُرِفْ
عَجْبُ الذَّنَبْ كالرُّوحِ لَكِنْ صَحَّحَا المُـــزَنيُّ لِـلْبِـلَى وَوَضَّــحَـا
وكُلُّ شَيءٍ هالـكٌ قـدْ خَصَّصُوا عُمُومَـهُ فاطْلُـبْ لِمَـا قَـدْ لَخَّصُوا
ولا تَخُضْ في الـرُّوْحِ إذْ ما وَرَدَا نَـصٌّ مِـنَ الشـارِعِ لَكِـنْ وُجِدَا
لِمَالِـكٍ هِـيَ صُـورَةٌ كالجَسَـدِ فَحَسْـبُكَ النَّـصُّ بهـذا السَّـنَدِ
والعقْلُ كالـرُّوحِ وَلكِـنْ قَرَّرُوا فِيْـهِ خِلافَـاً فانْظُـرَنْ ما فَـسَّرُوا
سُـؤَالُنَـا ثُـمَّ عَـذَابُ القَـبْرِ نَعِيْمُـهُ واجِـبْ كَبَعْـثِ الحَشْرِ
وَقُـلْ يُعَـادُ الجِسْـمُ بالتَّحْقِيـقِ عَـنْ عَـدَمٍ وَقِيـلَ عَـنْ تَفْرِيـقِ
مَحْضَـينِ لكِـنْ ذَا الخِلافُ خُصَّا بالأَنْبِيَـا ومَــنْ عليهـم نُصَّـا
وفــي إعَـادَةِ العَـرَضْ قَـولانِ ورُجِّحَــتْ إعــادَةُ الأعيَـــانِ
وفِي الزَّمَـنْ قَـولانِ والحِسَـابُ حَــقٌّ ومَــا في حَــقٍّ ارْتِـيَـابُ
فالسَّـيئاتُ عِنْـــدَهُ بالمِـثْـــلِ والحَسَـناتُ ضُوْعِفَـتْ بالفَضْلِ

وَباجْتِنَـابٍ لِلكبَـائِـرْ تُغْفَـرُ ... صَغَائِرٌ وَجَا الوُضُو يُكَفِّرُ

واليَومُ الآخِـرُ ثُـمَّ هَوْلُ الموقِفِ ... حَـقٌّ فَخَفِّفْ يا رَحِيمُ واسْعِفِ

وَوَاجِبٌ أَخْـذُ العِبَـادِ الصُّحُفَا ... كَـمَا مِـنَ القُرآنِ نَصَّـاً عُرِفَـا

وَمِثْلُ هَـذا الـوَزْنُ والمِيـزَانُ ... فَتُـوْزَنُ الكُتْـبُ أوِ الأعْيَـانُ

كـذا الـصِّراطُ فالعِبَـادُ مُخْتَلِفْ ... مُرُورُهُـمْ فَسَالِـمٌ وَمُنْتَلِـفْ

والعَـرْشُ والكُـرْسيُّ ثـمَّ القَلَـمُ ... والكَاتِبُونَ اللّـوحُ كُلٌّ حِكَـمُ

لا لاحْـتِياجٍ وَبِهَـا الإيـمانُ ... يَجِـبْ عَلَيكَ أَيُّهَـا الإنْـسَانُ

والنَّـارُ حَـقٌّ أُوجِـدَتْ كالجَنَّـهْ ... فـلا تَمِـلْ لِجَـاحِـدٍ ذي جِنَّهْ

دَارَا خُلُـودٍ للسَّعِيدِ والشَّـقِيْ ... مُـعَـذَّبٌ مُنَعَّمٌ مَـهْمَا بَقِيْ

إيمانُنَا بِحَـوْضِ خَـيرِ الرُّسْـلِ ... حَتْـمٌ كَـمَا قَـدْ جاءَنَـا في النَّقْلِ

يَنَـالُ شُرْبـاً منـهُ أقْـوَامٌ وَفَـوا ... بِعَهْدِهِـمْ وَقُـلْ يُـذَادُ مَـنْ طَغَوا

وَوَاجِـبٌ شَـفَـاعَـةُ المُشـفَّعِ ... مُحَـمَّـدٍ مُـقَـدَّمـاً لا تَمْـنَـعِ

وَغَـيْرُهُ مِـنْ مُرْتَـضَى الأخْيَـارِ ... يَشْـفَعْ كـما قَـدْ جاءَ في الأخْبارِ

إذْ جَـاءَ غُفْـرانُ غـيرِ الكُفْـرِ ... فلا نُكَفِّرْ مُـؤمِـنَـاً بـالـوِزْرِ

وَمَـنْ يَمُـتْ ولم يَتُـبْ مِـنْ ذَنْبِـهِ ... فـأَمْـرُهُ مُـفَـوَّضٌ لِـرَبِّـهِ

وَوَاجِـبٌ تَعْذِيـبُ بَعْضٍ ارْتَكَـبْ ... كـبـيرةً ثـم الخـلـودُ مُجْـتَـنَـبْ

وَصِـفْ شَـهِيْدَ الحـرْبِ بالحَيَـاةِ ... وَرِزْقُـهُ مِـنْ مُشْـتَهَى الجَنَّـاتِ

والرِّزْقُ عِنْدَ القَوْمِ ما بِهِ انْتُفِعْ — وقيلَ لا بَلْ مَا مُلِكْ وما اتُّبِعْ

فيرزُقُ اللهُ الحلالَ فاعْلَمَا — وَيَرْزُقُ المكرُوْهَ والمُحَرَّمَا

في الاكْتِسَابِ والتَّوَكُّلِ اخْتُلِفْ — والرَّاجِحُ التَّفْصِيلُ حَسْبَما عُرِفْ

وعِنْدَنا الشَّيءُ هوَ الموجُودُ — وَثَابِتٌ في الخَارِجِ المَوْجُودُ

وُجُودُ شَيءٍ عينُهُ والجَوْهَرُ — الفَرْدُ حَادِثٌ عِنْدَنا لا يُنْكَرُ

ثُمَّ الذُّنُوبُ عِنْدَنَا قِسْمَانِ — صَغِيرَةٌ كَبِيرَةٌ فالثَّاني

مِنْهُ المَتَابُ واجِبٌ في الحَالِ — ولا انْتِقَاضَ إنْ يَعُدْ للحَالِ

لَكِنْ يُجَدِّدْ تَوْبَةً لِمَا اقْتَرَفْ — وفي القَبُولِ رَأْيُهُمْ قَدِ اخْتَلَفْ

وَحِفْظُ دِيْنٍ ثُمَّ نَفْسٍ مَالْ نَسَبْ — ومِثْلُهَا عَقْلٌ وعِرْضٌ قَدْ وَجَبْ

وَمَنْ لِمَعْلُومٍ ضَرُورَةً جَحَدْ — مِنْ دِيْنِنَا يُقْتَلُ كُفْراً لَيْسَ حَدْ

ومِثْلُ هَذَا مَنْ نَفَى لِمُجْمَعِ — أَوِ اسْتَبَاحَ كالزِّنَا فلتَسْمَعِ

وواجِبٌ نَصْبُ إمامٍ عَدْلِ — بالشَّرْعِ فاعْلَمْ لا بِحُكْمِ العَقْلِ

فَلَيْسَ رُكْناً يُعْتَقَدْ في الدِّيْنِ — فَلا تَزِغْ عَنْ أَمْرِهِ المُبِينِ

إِلاَّ بِكُفْرٍ فانْبِذَنَّ عَهْدَهُ — فاللَّهُ يَكْفِينَا أَذَاهُ وَحْدَهُ

بِغَيرِ هَذَا لا يُبَاحُ صَرْفُهُ — وَلَيْسَ يُعْزَلْ إنْ أُزِيلَ وَصْفُهُ

وَأْمُرْ بِعُرْفٍ واجْتَنِبْ نَمِيمَهْ — وغِيْبَةً وخَصْلَةً ذَمِيمَهْ

كالعُجْبِ والكِبْرِ وداءِ الحَسَدِ — وكالمِرَاءِ والجَدَلْ فاعْتَمِدِ

وكُـنْ كَـمَا كانَ خِيَـارُ الخَلْـقِ حَلِيـفَ حِلْـمٍ تَابعـاً لِلحَـقِّ

فَـكُلُّ خَـيْرٍ فِي اتِّبَـاعِ مَنْ سَـلَفْ وكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِـدَاعِ مَـنْ خَلَـفْ

وكُلُّ هَـدْيٍ للنَّبـيِّ قَـدْ رَجَـحْ فـما أُبِيـحَ افْعَـلْ وَدَعْ مـا لَمْ يُبَـحْ

فَتَـابِـعِ الصَّـالِـحَ مِمَّنْ سَـلَفَـا وجَانِـبِ البِدْعَـةَ مِمَّـنْ خَلَفَـا

هـذا وأَرْجُـو اللهَ فِي الإِخْـلاصِ مِـنَ الـرِّيَـاءِ ثُـمَّ فِي الخَـلاصِ

مِـنَ الرَّجِيمِ ثُـمَّ نَفْسِي والهَوَى وَمَـنْ يَمِلْ لهـؤلاءِ قَـدْ غَوَى

هـذا وأَرْجُـو اللهَ أَنْ يَمْنَحَـنَـا عِنْـدَ السُّـؤَالِ مُطْلَقـاً حُجَّتَنـا

ثُـمَّ الصَّـلاةُ والسَّـلامُ الدَّائِـمُ عَـلَى نَـبِـيٍّ دَأْبُـــهُ المَـرَاحِـمُ

مُحَـمَّـدٍ وَآلِــهِ وعِــتْرَتِـهْ وتَابِـعٍ لِنَهْجِـهِ مِـنْ أُمَّتِـهْ